الثورة الأحد 20 ذو القعدة 1433 هـ - 7 أكتوبر 2012م العدد (17490)

في ظروف استثنائية.. رحلة استثنائية هي الأطول من نوعها:

الرئيس هادي.. جولة عابرة للقارات.. الأبعاد والثمار

هادي يرأس اجتماع أصدقاء اليمن

■ ،، فترة أسبوعين- بالتمام والكمال- ربما كانت كافية ليسجل فخامة الأخ عبدربه منصور هادي- رئيس الجمهورية- رقما قياسيا في مدة جولته الخارجية الأخيرة التي تعد الأطول في تاريخ السفريات الرسمية لحاكم يمني اخترقت مهمته الطارئة نطاق الأيام البروتوكولية المعتادة!!

كما تعد الزيارة الأطول له منذ تسلمه مقاليد السلطة في أخطر مرحلة يمر بها اليمن، عقب انتخابات مبكرة أفضت إلى انتقال سلمي للرئاسة بموجب مبادرة خليجية في أواخر العام المنصرم أطفأت لهيب أزمة مريرة غير مسبوقة.

إطالة زمن الجولة الرئاسية أكدت للمراقبين حجم الأهمية التي تكتسبها وأن ثمة مهاماً وملفات متعددة حملها معه.. حيث يُنظَر إلى جولته التي تزامنت مع مؤتمر المانحين في نيويورك، لا باعتبارها "اقتصادية" فحسب كما تم الإعلان عنها، بل بوصفها- جولة "متعددة الأغراض" لا تخلو من مهمة "سياسية" في غاية الأهمية.

يمكن استنتاج هذه القراءة ببساطة من كلمة الرئيس هادي لدى مغادرته مطار صنعاء حين أكد أن جولته لها أبعادها ومقاصدها التي تصب في مجرى تجنيب اليمن ويلات الحرب والانقسام والانشقاق وإخراجه إلى بر الأمان».. كما يمكن قراءتها من خطابه قبل ليلة عيد الثورة اليمنية حين أكد أن غيابه عن احتفالات الوطن يأتي لمهمة استراتيجية تستهدف المصالح الوطنية العليا، حيث قال: "يؤسفني اشد الأسف أن هذه المواعيد الدولية الهامة قد جاءت بكل حساباتها ومراميها المهمة في الوقت الذي سيحتفل فيه شعبنا اليمني الأبي بالعيد الذهبي لثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة وما نكنه لهذه المناسبة من إكبار وتمجيد، إلا أنه لا بد من تلبية الوفاء بالوعود كونها تأتي في ظرف له خصوصية وأبعاد وطنية تتصل بالمصالح الوطنية العليا وكنت في نفسي أود أن أكون حاضرا في ابتهاجات العيد الذهبي للثورة السبتمبرية».

قراءة/ توفيق الحرازي

رئيس الجمهورية مع نائب الرئيس الأمريكي

رسالة كهذه يمكن قراءة ما وراء سطورها من زاوية سياسية أيضا، فجولة الرئيس هادي وإن كان الطابع الاقتصادي هو الصبغة الرئيسية لها- كونها شكلت ضغطا واضحاً لحلحلة تعهدات المانحين والإيفاء بوعودهم- إلا أنها لا تخلو كما يبدو من مهام "سياسية" على الهامش، وهموم خارجية مرتبطة بالأوضاع الداخلية وترتيب البيت اليمني، وترتيبات "يمن مابعد التسوية".

فضمن أهدافها المتعددة، لا تخلو جولة الرئيس من رسائل تطمين واضحة نجح في حملها للمجتمع الدولي والإقليمي حول ماهية "يمن جديد" آخذ في التشكل، يواجه عثرات جمة.. ولأن هذا الكيان "الجديد" يحظى بإجماع دولي غير مسبوق كان لابد من تنويع محطات هذه الجولة ليكون من ضمن مهاها إيجاد "ترويكا دولية ضاغطة" تساعد الرئيس على حلحلة ماتبقى من أوراق التسوية السياسية "المراوحة في مكانها"، وإزالة العثرات من طريق مؤتمر حوار وطني قادم يجب أن تتهيأ الأرضية الملائمة لإنجاحه والتسريع بإقامته.

مثل هذه الترويكا الدولية الضاغطة يمكنها ممارسة ضغط أقوى على أية أطراف "داخلية" معرقلة للمبادرة والحوار القادم، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية تبحث جولة الرئيس عن مقاربة دولية ضاغطة وخيارات جديدة لاستقطاب ما تبقى من أطراف "خارجية" مستعصية على الحوار القادم والضغط عليها كفرصة أخيرة للحاق بطاولة الحوار الوطني المنتظر انطلاقها عقب عودة الرئيس من جولته الأوروبية.. كما أنها لم تخل- كما يبدو- من بحث الجهود الأممية لتحديث سبل مكافحة الإرهاب.

يمكن التأكد من هذه القراءة بنظرة سريعة للمحطات التي جال فيها الرئيس.. إذ اقتصرت جولته على أطراف الترويكا الدولية- أو المجموعة الغربية الكبرى- الراعية للمبادرة الخليجية: أمريكا، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، مقر الأمم المتحدة، مقر الاتحاد الأوربي، السعودية، باستثناء روسيا والصين- المؤثرتين في المبادرة!

فهذه الدول بجانب أنها أكبر الدول المتعهدة في مؤتمر مانحي اليمن، إلا أنها قبل ذلك هي أهم أقطاب المبادرة الخليجية والقوى التي تتقاسم مهام التسوية الداخلية، ما يؤكد أن جولة الرئيس الاقتصادية شملت أيضاً مهام سياسية غير منظورة تتعلق بمسار التسوية وتوسيع طاولة الحوار الوطني، ما أكسب جولته التاريخية أهمية استراتيجية- موازية لأهميتها الاقتصادية.

مهمة التسويق لليمن جديد

أما في أبعادها الاقتصادية المتعلقة بمؤتمر أصدقاء اليمن وحشد دعم دولي غير مسبوق- باعتبارها المهمة الأبرز- فتكتسب جولة الرئيس هادي في الظرف الراهن أهمية قصوى لكونها حملت رسائل تطمين واضحة لمجتمع المانحين حول مصير دعمهم الموعود لليمن، خاصة بعد أن ظل الداعمون قلقين على مخصصاتهم المجمدة ومتحفظين على إطلاقها طيلة السنوات الماضية بسبب الاضطرابات السابقة- السياسية والأمنية- وأخطاء المراحل الماضية.. كما تفاقم قلق المانحين أكثر مع استفحال الصراعات والانقسامات الجديدة عقب موجة "الربيع اليمني العاصف" أو ما اصطلح دوليا على تسميته "بالأزمة اليمنية"، وعدم وصول المبادرة الخليجية إلى استقرار مطْمئِن للمانحين، إذ كيف يمكن الوثوق بيمن مضطرب يستفيد من التعهدات الخارجية دون ترتيب أوراق "اللعبة الداخلية" أولاً، باعتبارها الضامن الأساسي لجلب الاستقرار أولاً، وتوفير أجواء النزاهة والشفافية ثانيا، لتأمين طريق المانحين حتى يثقوا بأن أموالهم ستُصرف في مسارها الصحيح!!

لهذا حملت جولة الرئيس هادي على عاتقها مهمة عاجلة لترميم الصورة السابقة، والتسويق لميمن جديد تغيرت أدواته ونُظُمُه وسمعته.. لكنه يمنٌ "مشروط"، لا يمكن أن يستقر ويتطور إلا إذا تغيرت نظرة المانحين وجدية التعامل مع احتياجات اليمن، وسرعة الإيفاء بتعهداتهم الجديدة بعيداً عن مبررات المماطلة السابقة التي ضاعفت أعباء الدولة وفاقمت التحديات والملفات الراهنة على حساب المستقبل.. ما لم فإن الاستهانة بالاضطرابات المحتملة وترك اليمن منفرداً في مواجهة مصيره يمكن أن يضع الدولة القائمة أمام سيناريوهات غير محمودة، قد تنتج مخاطر "مُركّبة" لا تطال اليمن فحسب، بل تأخذ في طريقها مصالح إقليمية ودولية ستكون في مهب الريح، ليس بسبب افتعالات بشرية يختلقها اليمنيون لغيرهم كحالة الصومال، بل بسبب حسابات الجغرافيا والموقع الاستراتيجي الخطير لبلد على خاصرة أهم ممر ملاحي عالمي سوفَ لن يصبح في مأمن، ومتاخم لأهم منطقة نفطية عالمية محاطة بقرصنة وإرهاب وصراع إقليمي ستكون عرضة للاطماع وقابلة للاشتعال إذا انهارت دولة كاليمن، ليتكبد المجتمع الدولي أعباء مكلفة لا طاقة له باحتوائها.

مقدمات الجولة الطويلة

بدأ الرئيس جولته الطويلة بخطاب رئاسي مهّد لمهمته في ليلة الاحتفاء باليوبيل الذهبي- بالتحديد ليلة الرابع والعشرين من سبتمبر٢٠١٢م، حين عبر عن أسفه الشديد للشعب اليمني لاضطراره إلى الغياب عن هذه الاحتفائية النوعية الكبرى بسبب مصلحة وطنية عليا فرضت عليه عدم حضور هذه الاحتفائية الهامة.

وأياً تكن التوقعات والتحليلات بالنسبة لتوقيت زيارة الرئيس هادي في أعياد اليوبيل الذهبي للثورة اليمنية، فقد دللت ترتيباتها المسبقة على أنها فرصة استثنائية في ظرف استثنائي وجاءت في سياق دعوة أمريكية للرئيس هادي للمشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة وإلقاء خطاب اليمن أمام زعماء العالم. كما أنها تصب في مصلحة اليمن حيث سيلتقي برؤساء الوفود المشاركة في الاجتماع ذاته، ثم انه سيشارك في الاجتماع الوزاري لدول "أصدقاء اليمن" الذي عُقد في نيويورك الخميس قبل الفائت، والذي أعلنت فيه دول مانحة استكمال تعهداتها بشأن حجم المنح التي ستقدمها لليمن خلال الفترة الانتقالية.

واعتبر هادي أن جولته "فاتحة خير وبشائر أمل لمساعدة اليمن في أزمته وظروفه الصعبة الراهنة"، قائلا: أن هذه الجولة لها "أبعادها ومقاصدها التي تصب في مجرى تجنيب اليمن ويلات الحرب والانقسام والانشقاق وإخراجه إلى بر الأمان".

وقبلها كانت وسائل إعلام رسمية مقربة تمهد لخبر جولته الطويلة.. فكانت صحيفة «٢٦ سبتمبر» التابعة لوزارة الدفاع أول من أعلن الخبر نقلا عن مصادر وصفتها بالمطلعة، ذكرت فيه "أن الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي سيبدأ جولة خارجية يوم الأحد على رأس وفد رسمي رفيع المستوى تعتبر هي الأولى له منذ تسلمه مقاليد السلطة في فبراير الماضي. مضيفة أن الجولة ستبدأ بزيارة رسمية إلى العاصمة البريطانية لندن يلتقي خلالها كبار المسئولين البريطانيين لبحث العلاقات بين البلدين. وعقب ذلك سيتوجه هادي إلى الولايات المتحدة للمشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وإجراء مباحثات مع عدد من القادة والزعماء العرب والأجانب على هامشها، كما يجري مباحثات مع الإدارة الأمريكية، قبل أن يفتتح مؤتمر أصدقاء اليمن في نيويورك يوم الخميس٢٧سبتمبر- بمشاركة نحو٤٥ دولة ومنظمة إقليمية ودولية مانحة، حيث هدفت هذه الزيارة إلى حشد دعم هذه الدول والمنظمات للمشاركة الفاعلة في مؤتمر أصدقاء اليمن الذي تم تكريسه لإعلان بقية تعهدات الدول والمنظمات المانحة التي لم يتم إعلانها خلال مؤتمر الرياض للمانحين.

وأضافت وسائل الإعلام: إن الرئيس سيزور ألمانيا وفرنسا في طريق عودته من نيويورك، وسيجري مباحثات مع المسئولين هناك بهدف تعزيز الدعم الدولي لليمن على مختلف الأصعدة.

وذكر مسئولون يمنيون أن اجتماع أصدقاء اليمن سيحضره مسئولون كبار من بينهم نائب رئيس البنك الدولي ونائب رئيس صندوق النقد الدولي وممثل عن الأمين العام للأمم المتحدة ووزراء خارجية أصدقاء اليمن وممثلون عن ٥٤ دولة ومؤسسة تمويل دولية".

صياغة هذا الخبر أكدت مسبقا أن ثمة جولة طويلة لن تكون روتينية على ما يبدو، وأنها بالتأكيد تتعدى الطابع الاقتصادي المتمثل في حشد الدعم المالي لليمن.. إذ أكدت تصريحات مسئولين أن مباحثات هادي مع كبار القادة والمسؤولين الغربيين تأتي في إطار تعزيز علاقات التعاون مع اليمن، وكذا بحث الخطوات المنجزة على طريق التسوية السياسية التي أقرتها المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية وقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٠١٤,

كما أنه بمجرد بدء مهمته الخارجية تناقلت المواقع الالكترونية أصداء جولته من يومها الثاني، حيث أكدت الصحف اليمنية الصادرة يوم الأربعاء- ٢٦سبتمبر ٢٠١٢م- ان زيارة الرئيس عبدربه منصور هادي حققت حتى الآن نجاحات ومكاسب كبيرة سوف تساهم في دفع عجلة التنمية والخروج باليمن إلى بر الأمان. وعلقت الصحف آمالا كبيرة على نتائج اللقاءات والمشاورات التي أجراها الرئيس خلال جولته الاوروبية الحالية وزيارته للولايات المتحدة الامريكية ومشاركته في اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، وقالت صحيفة "الجمهورية" فى صدر صفحتها الأولى: "إن الرئيس التقى مع نظيره الأميركي الرئيس باراك أوباما حيث استعرضا القضايا والموضوعات على المستوى الثنائي والمستجدات التي يمر بها اليمن في ضوء المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية". موضحة "أن الرئيس الامريكي تعهد خلال اللقاء بتقديم الدعم والمساعدة الكاملة لليمن حتى نجاح المرحلة الانتقالية والوصول الآمن الى فبراير ٢٠١٤م".

وأشارت الصحيفة إلى أن الرئيس هادي التقى مع جون برينان مستشار الرئيس الامريكي لشئون مكافحة الإرهاب وتم بحث التطورات والمستجدات على صعيد التعاون المشترك لمواجهة الإرهاب العابر للحدود والقارات وطبيعة سير عملية التسوية السياسية في اليمن على أسس المبادرة الخليجية وآليتها المزمنة، وتم الاتفاق على عدد من القضايا والإجراءات وكانت وجهات النظر متطابقة تجاه مجمل القضايا التي تم بحثها. موضحة أن الرئيس اليمني عقد سلسلة من اللقاءات في مقر إقامته في نيويورك ، منها لقاء وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون التي تعهدت باستمرار الدعم الامريكي لليمن لتحقيق نجاح المرحلة الانتقالية.. وان هناك إجراءات سيتم اتخاذها في سبيل نجاح العملية تماما.

والتقى هادى على هامش مشاركته في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة مع العاهل الأردنى الملك عبدالله الثاني، حيث بحث الجانبان علاقات التعاون في مختلف المجالات وكذا التشاور إزاء الموضوعات المدرجة على جدول أعمال اجتماعات الجمعية العامة للأمم في دورتها الحالية ، فضلا عن القضايا الثنائية وما يهم المنطقة.

كما التقى الرئيس مع مديرة برنامج الأمم المتحدة لشؤون التنمية هيلين كلارك حيث تم بحث موضوع دعم اليمن خصوصا في مجال دعم النازحين والمساعدات الإنسانية لهم وسبل التعاون في كافة المجالات ، كما التقى مع رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة فوك جيريميك، ورئيس وكالة التنمية الأمريكية راجيف شاه حيث تم استعراض المساعدات المقدمة من الوكالة للجمهورية اليمنية، وقد حضر هذه اللقاءات وزير الخارجية اليمنية الدكتور أبو بكر عبدالله القربي، ووزير التخطيط والتعاون الدولي الدكتور محمد السعيدي، وأمين عام رئاسة الجمهورية الدكتور علي منصور بن سفاع، والمندوب الدائم لليمن لدى الامم المتحدة السفير جمال السلال.

دلالات محطات الجولة

وفي قراءة سريعة لترتيب محطات جولته التي جعلها ضمن أولوياته حسب أهمية بلدانها يتضح أن الرئيس هادي حرص على لقاء المسؤولين الأوروبيين والأمريكيين باعتبارهم من كبار الرعاة للمبادرة الخليجية وعملية انتقال السلطة في اليمن، فقد افتتحها بالعاصمة البريطانية لندن نظراً لما يربطها باليمن من علاقات وطيدة منذ أمد بعيد، ولدورها البناء مع الدول ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن الدولي بصورة لها أبعادها ومقاصدها التي تصب في مجرى تجنيب اليمن ويلات الحرب والانقسام والانشقاق وإخراجه الى بر الأمان- حسب تصريحات الرئيس هادي لدى مغادرته مطار صنعاء، ما يعني أن الزيارة لها علاقة وثيقة بترتيب الأوضاع في المحافظات الجنوبية، بجانب شقها الاقتصادي.

وبدوره جدد رئيس الوزراء البريطاني، ديفيد كاميرون دعم بلاده الكامل لليمن من أجل نجاح التسوية السياسية في اليمن القائمة استنادا إلى المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية المزمنة وإنجاح المرحلة الانتقالية بكل متطلباتها. وقال خلال لقائه بالرئيس هادي في مقر الحكومة البريطانية (داونتج ستريت): هذه بالنسبة لنا مسؤولية سياسية ونتطلع إلى النجاح الكامل حتى الوصول إلى نهاية المرحلة الانتقالية في اليمن".

وقد تحدث الرئيس عبدربه منصور هادي، حيث أوضح أنه قرر أن تكون لندن أول محطة له في جولته الأوروبية نظرا لنشاط الحكومة البريطانية في دعم العملية السياسية في اليمن والتحول الديمقراطي. مستعرضا الموضوعات المتصلة بالعملية السياسية وكيفية تنفيذ المرحلة الأولى من المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية المزمنة، مؤكدا أنها قد تمت بنجاح. مشيرا إلى أن اليمن يستعد لتنفيذ المرحلة الثانية من التسوية التي ستبدأ بالحوار الوطني الشامل من أجل ترسيخ التجربة الديمقراطية وبناء الدولة المدنية الحديثة.